مفكرة

خط تل الزعتر والحلم الجميل كأشجار البرتقال

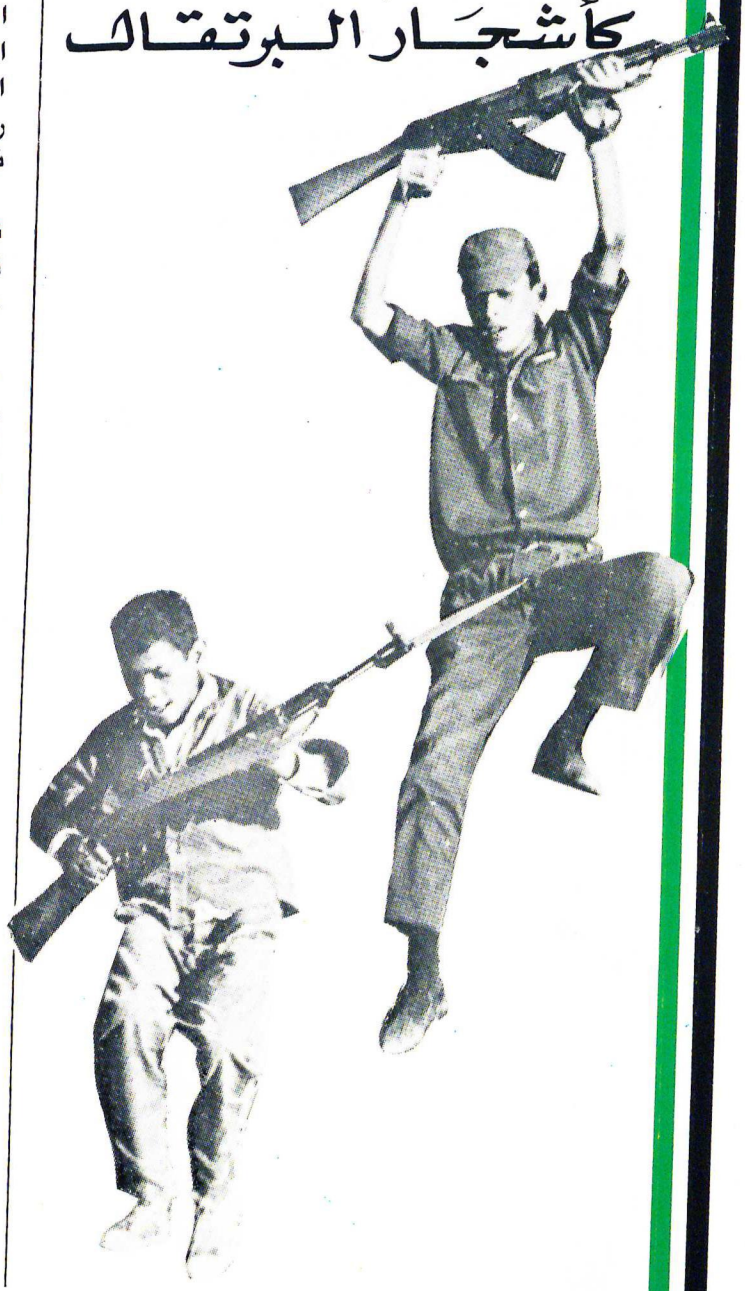

اذا كان لك غناء الايات تترنح عند اول نسمة صباح ، تتفتح زهورك يا وطني الجميل ، تتفتح كما ، الحلم الماثل امام هياكل الآلهة ـ فلقضية حبنا وللامل شروق رصاصنا وغروب المؤامرة كما يأتي بحجم الدماء الطاهرة التي تروي اشعة الصباح تتفتح في عيون اطفال المخيمات :

ارادوك يا مخيمي الجميل هدوءاً كما حلم الصباح الجميل فوق حيفا ـ ويافا ـ ونريدك رصاصاً يثير آمال المتآمرين ويقض مضاجعهم .

وارادوك نزوحا آخر عن الحلم ونريدك بقاءاً كالتراتيل التي تخترق الاساطير وترفع من هناك من اعماق « الزوق » يد الثوار الذين يكيلون للوجه المميت ضربات موجعة تجعله يعود الى الواقع . « نحن يا ارضنا باقون كم تتحول السنون وتتحول الامنيات والايام ، ولكن حبك يا وطني عندما يصبح زخات رصاص ، يصبح القصاص هو الشيء الرادع للمتآمرين على نضال شعبنا واحلامه وامانيه في العودة الى الارض كل الارض .

وارادوك يا من قاتلت في أيار يا مخيم الصمود مخيماً لا تنبجس شفتاه باي كلمة تعود بذاكرتنا الى الوطن وكنت في أيار صخوراً تقاتل ، واطفالا يروضون السلاح ، ونساءاً يصنعن من اكفانهن علماً يرتفع عالياً .

قالوا انك ثكنة عسكرية تعكر عليهم تنقلاتهم وعودتهم من امسياتهم الهادئة الجميلة ! وانت فعلا كذلك ، فقمر الضياء لم يغب عن ذاكرتك ولا للحظة واحدة ، وامسية تل الزعتر جميلة كتاريخ كامل يعبر في ليلة واحدة ، الم تكن انت الذي قدمت في كل ليلة من ليالي « ايلول » شهيداً وبطلا في عرس جديد ، اغفر لي الان ان خانتني كلمات الوصف . فاني حين اذكر « احداث ايار » اذكر انشودة الاطفال انشدوها في مدارسهم وهم ينظرون الى تاريخ الوطن الواقف في شمس رصاصك الموجه الى صدور الرجعية . كم كانت اناشيدهم جميلة .. جميلة كحب ذلك « الراوي العجوز » والذي كان يقول « فلسطين اجمل ما خلق الله ـ يحكي ان بطلا من ابطال صفد » ويحكى ان طفلا من تل الزعتر قد انشد وانشدت معه كل زهور المخيم .

ايار خبر ايلول
الليل عنا ما بطول
(فدائية وبنحمل سلاح) (...)
نرمي سلاحنا .. مش معقول .. مش معقول .. مش معقول .

غريب ان يقولوا انك قد تغادر تلك الصخرة التي استشهد عليها « محمود ونيازي » ، وهم يعرفون انك بحجم القضية عطاءاً للزهور البرية تنبت في الربيع وتنبت في صفد في كل الفصول لانك اصبحت ذلك الجزء من دماء شهداءانا الذين اعطونا حبك واعطيناهم عهد الدفاع عن الارض التي لعبوا فوق بطاحها صغاراً ، ورووها بدمائهم كباراً والان فلك ان تبقى ان شئت في قلوبنا جزءاً من الذاكرة العظيمة للحلم العظيم ، وان شئت ان ترحل بعد عودتنا الى الوطن الام ، فاننا لا شك ذاكرون فيك ايام الكفاح وروايات العجوز ونشيد الاطفال ـ

خليل